﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٨٩):

قال ابن عبّاس ﷺ: "كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلّما التقوا هُزِمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدّعاء: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ». قَالَ: فَكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَهَزَمُوا غَطَفَانَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيّ ﷺ كَفَرُوا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بك يا محمّد، إلى قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾"[1][2].

المعنى العام

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّوراة، فما قمتم بحقّها ولا عملتم بنصّ ما فيها، ﴿وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ وأتبعنا بعده الرّسل، كلّما مات رسول بعثنا بعده آخر اعتناءً بكم، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمغيّبات، والإنجيل، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بجبريل ﷺ فكان يسير معه حيث سار، ورفعه إلى السّماء حين أردتم يا معشر اليهود قتله، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ﴾ من مشاقّ الطّاعات وترك الحظوظ والشّهوات، ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ وامتنعتم عن الإيمان به ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ ففريقًا منهم كذبتموه كسليمان وعيسى ومحمد ﷺ، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ تقتلونه كزكريا ويحيى ﷺ؟

والدّليل على أنّ "روح القدس" هو جبريل، ما جاء عن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أبيه عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ))[3] وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: "مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثمّ التفت إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟)) قال: نَعَمْ"[4] وعَنِ الْبَرَاءِ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، كتاب: التفسير، باب: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من سورة البقرة، حديث رقم: ٣٠٤٢.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عائشة، كتاب: معرفة الصحابة ﵃، باب: مناقب حسّان بن ثابت الأنصاريّ ﵁، حديث رقم: ٦٠٥٨، وهو صحيح.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سعيد بن المسيّب، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢١٢.

لِحَسَّانَ: «اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»"[1] وفي شعر حسّان قوله:

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ فِينَا وَرُوحُ القُدُسِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾. ثمّ يقول تعالى حكاية عن اليهود باستهزائهم بدعوتك يا محمّد: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قلوبنا مغلّفة ومغشّاة فلا نفقه ما تقول، أو هي أوعية للعلوم فلا تحتاج إلى علمك، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ بل قلوبهم على الفطرة لا غطاء عليها حسًّا، ولكن لعنهم الله وطردهم وخذلهم بسبب كفرهم فأبطل استعدادها للعلم، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ كإيمانهم ببعض الكتاب، أو لا يؤمن منهم إلا قليل، كعبد الله بن سلام وأصحابه، والله تعالى أعلم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي اليهود ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ وهو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ موافقًا له وشاهدًا عليه بالصّحة، ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قبل ظهوره، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يطلبون النّصر على أعدائهم بالنّبيّ الذي جاء به، فيقولون: اللَّهُمَّ انصرنا عليهم بالنّبيّ المبعوث في آخر الزّمان، الذي نجد نعته في التّوراة. وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: إنّ نبيًّا يبعث الآن قد أطلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ فلمّا ظهر وعرفوه ﴿كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كذّبوا به، فلعنة الله عليهم. وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على أنّهم لُعنوا لكفرهم، فاللام في الكافرين للعهد، وهم كفّار اليهود، أو للجنس، فتكون اللعنة عامّة لكلّ كافر، ويدخلون فيها دخولًا أوليًّا، والله تعالى أعلم.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. **المدرسة الأبويّة** هي مدرسة سيّدنا آدم -عليه السّلام- والأنبياء من بعده، تعلّم أتباعها الأدب والأخلاق والقيم ومخالفة الهوى، ويفوز من اتّبعها بسعادة الدّنيا والآخرة.

٢. **المدرسة الأنويّة** هي مدرسة إبليس وقابيل والدّجال، تعلّم أتباعها حبّ الأنا والأنانيّة وإعطاء النّفس هواها ومتابعة الهوى، فمن اتّبعها يتوصّل إلى الشّقاوة في الدّنيا والآخرة.

الاستدلال بأخبار الرّسل السّابقين بصفاته ﷺ وانطباقها عليه تمامًا:

كلّنا يعلم أنّ جميع الأنبياء عليهم السلام إخوة، رسلٌ من مُرسِل واحد- الله-، برسالة توحيد واحدة، وبدين واحد اسمه الإسلام.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن البراء، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢١٣.

وأنّ من تمام رسالة كلّ رسول منهم أن يؤمن بمن سبقه من رسل الله، وبما أنزل عليهم من كتاب، وأن يدعو قومه إلى الإيمان بما أُنزل إليه. كما أنّ من تمام رسالته، أن يدعو قومه إلى الإيمان بكلّ رسول يأتي من بعده؛ إن لم تكن رسالته هي خاتمة الرّسالات السّماويّة.

وحيث إنّ الله أراد أن يختم رسالات السّماء برسالة سيّدنا محمّد ﷺ، ويجعلها عامّة للنّاس، فقد بشّر برسالته ﷺ في الكتب السّابقة- الزّبور والتّوراة والإنجيل-، ليحثّوا أتباعهم على اتّباع رسالة سيّدنا محمّد ﷺ متى بعثه تعالى، وليجعل في كتبهم حجّة عليهم إذا هم أخذتهم العصبيّة، أو حجبهم حسدهم للأمّة التي سيكون منها هذا النّبيّ.

وقبل بعثة سيّدنا محمّد ﷺ، كان أهل الكتاب من اليهود والنّصارى ينتظرون ظهور نبيّ يختتم به ربّنا النّبوّات؛ فيأتي برسالة عامّة للنّاس كافّة، شاملة للشّرائع، لأنّ كتبهم كانت قد بشّرت به ونوّهت بصفاته.

وكان اليهود في الجزيرة العربية يدعون الله أن يفتح عليهم بالنّبيّ المنتظر، حتّى يتّبعوه، ويقاتلوا العرب الوثنيّين معه، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الله سيكتب له النّصر والفتح.

ولمّا لم يُكتب لهذا النّبيّ أن يكون من بني إسرائيل، بل جاء من العرب أولاد عمّهم إسماعيل عليه السلام حسدوهم، فكفر أكثرهم بغيًا من عند أنفسهم، وهم يعلمون صدق رسالته، بشهادة صفاته المنوّه بها في كتبهم، وقد بيّن القرآن حقيقتهم هذه، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

فقد كانوا قبل بعثة سيدنا محمّد ﷺ يستفتحون على كفّار العرب كما ذكرنا سابقًا... فلمّا جاءهم ما عرفوا أنّه الحقّ من عند الله كفروا به.

وممّا سبق يتّضح لنا أنّ من كان مؤمنًا بالدّيانة اليهوديّة، أو المسيحيّة، واطّلع على البشائر الواردة في التّوراة وسائر كتب العهد القديم، التي نوّهت ببعثة خاتم النّبيّين، وبيّنت صفاته المميّزة الموافقة لصفات سيّدنا محمّد ﷺ، يرى نفسه مسوقًا بالضّرورة إلى التّسليم بأنّه الرّسول المنتظر، فلا يحجبه عن الإيمان إلا عصبيّة ممقوتة، أو حسد ذميم، أو خوف على منافع ومناصب.

ولذلك نرى أنّ القرآن الكريم يكشف حقيقة العلماء من أهل الكتاب، بأنّهم يعرفون دون أدنى شكّ بأنّ سيّدنا محمّدًا ﷺ هو رسول الله، من خلال صفاته المكتوبة عندهم في بشائر النّبيّ المنتظر.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

لقد تعهّد الله تعالى أن يكتب رحمته التي وسعت كلّ شيء لأهل الكتاب الذين يؤمنون بمحمّد ﷺ بدلائل البشائر الموجودة في كتبهم؛ فقال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وعلى الرّغم من كلّ التّحريفات التي اصطنعها الأحبار والرّهبان في التّوراة والإنجيل؛ فما زال الكثير من هذه البشائر في طيّاتها حتى الآن، وإن كان أهل الكتابين ممّن لم يدخل في الإسلام، يكابر في نسبتها إلى سيّدنا محمّد ﷺ، زاد الإنجيل في التّنويه إلى صفاته ﷺ، بذكر اسمه المشتقّ من معنى الحمد.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦- ١٥٧.

وعلى الرّغم من كلّ التّحريفات التي اصطنعها الأحبار والرّهبان في التّوراة والإنجيل؛ فما زال الكثير من هذه البشائر في طيّاتها حتى الآن، وإن كان أهل الكتابين ممّن لم يدخل في الإسلام، يكابر في نسبتها إلى سيّدنا محمّد ﷺ، زاد الإنجيل في التّنويه إلى صفاته ﷺ، بذكر اسمه المشتقّ من معنى الحمد.

وقد صرّح القرآن الكريم بأنّ عيسى عليه السلام بشّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- تقبّل النّصيحة من كلّ أحد إن كانت حقًّا، ولا تردّها لأنّها مخالفة لهواك، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2]. وقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سَعِيدٍ، مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وجَبَتْ له الجَنَّةُ»[3]
- ارضَ وسلّم بما أتى به رسول الله ﷺ، فالنّاس عادة لا تحبّ المصلحين، ولمّا كان ما أتى به النّبيّ ﷺ يخالف أهواءنا، أُمرنا أن نقول في كلّ تشهّد في الصّلاة، "السّلام عليك أيّها النّبيّ" أي أنّنا سنسلّم جميع أمرنا ونتّبعك دون أيّ اعتراض أو انتقاد، بخلاف اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[4].

في الأخلاق والآداب

الحسد القبيح

يحثّنا الإسلام على السّلامة من الحسد القبيح، فالحسد مرض خبيث من أمراض النّفوس؛ يقوم على رغبة الشّخص بأن تزول النعمة عن غيره ليمتلكها وحده، ممّا يُغري صاحبه بغمط الحقّ وإنكاره والجحود به، مهما كان بيّنًا مؤيّدًا بالحجج والبراهين. فكلّ العنا من الأنا.

وبناء على ذلك، نلاحظ أنّه قد يكون الحسد من أكبر العوامل التي جعلت اليهود مثلًا، ينكرون الحقّ الذي جاء به سيّدنا عيسى -، ولذلك حاولوا التّخلّص منه - لولا أن نجّاه الله فرفعه إليه - كما فعلوا ببعض أسلافه من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ! وقد خاطبهم تعالى بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الصفّ، الآية: ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب: الإمارة، باب: بيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهد، حديث رقم: ١٨٨٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

خطورة حبّ الأنا واتّباع الهوى:

يقال لمن تبع فتاوى الضّلال وعلماء الإضلال، وهم من خالفوا ما أجمعت عليه الأمّة، واتّفق عليه الأئمّة: لقد أوصلنا لهم الخطاب، وأردفنا رسولًا بعد رسول، والجميع دَعَوْا إلى الاستمساك بشريعة الإله الواحد. ولكنّهم أصْغَوْا إلى دعوة الدّاعين لاتباع الهوى، فما استسهلته نفوسهم قَبلُوه، وما استثقلته أهواؤهم جحدوه، فأصبحوا مثل الّذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويخشى عليهم أن يلقوا المصير نفسه.

في السّيرة والشّمائل

عندما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز رسوله، وإيصال الدّعوة إلى العالم كلّه، قضى بأن يترك المسلمون مكّة، ويهاجروا منها إلى مكان آمن، يعيش أهله للإسلام، ويهاجر إليه المسلمون ليكونوا قوّة تحمي الحقّ، وتدافع عنه، وتردّ كيد المعتدين.

ولمّا أراد الله ذلك، خرج رسول الله ﷺ إلى قبائل العرب كما كان يفعل في كلّ موسم، وذلك في العام العاشر من المبعث، وقد وفّقه الله تعالى، ووفّق الأنصار معه فتلاقوا في ثلاثة مواسم متتابعة عند العقبة؛ حيث كان اللقاء الأول تمهيدًا لبيعتيّ العقبة، اللتين تمّتا في اللقاءين الثّاني والثّالث.

وبيان هذا اللقاء فيما يلي:

اللقاء الأوّل: إسلام نفر من الأنصار، حين خرج رسول الله ﷺ في العام العاشر للقاء القبائل، لقي نفرًا من الخزرج، وهم:

أسعد بن زرارة من بني النّجار، عوف بن الحارث بن رفاعة من بني النّجار، رافع بن مالك بن العجلان من بني زريق، قطبة بن عامر بن حديدة من بني سلمة، عقبة بن عامر بن نابي من بني حرام بن كعب، جابر بن عبد الله بن رئاب من بني عبيد بن غنم.

فلما لقيهم الرّسول ﷺ قال لهم: "من أنتم؟"، قالوا: نفر من الخزرج، قال: "أمن موالي يهود؟"، قالوا: نعم، قال: "أفلا تجلسون أكلّمكم؟"، قالوا: بلى، من أنت؟

فانتسب لهم، وأخبرهم خبره، فجلسوا معه، ودعاهم إلى الله تعالى، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان ممّا حبّبهم في الإسلام أنّ اليهود الّذين كانوا معهم في بلادهم، كثيرًا ما قالوا لهم: إنّ نبيًّا أظلّنا زمانه، سنؤمن به، ونقتلكم وهو معنا قتل عاد وإرم، فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النّفر، ودعاهم إلى الله أيقنوا به، واطمأنّت قلوبهم إلى ما سمعوا، وعرفوا صدق ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب عن صفته.

فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنّه للنّبيّ الذي توعّدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم بأن صدّقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

ثمّ قالوا: قد علمت الذي بيننا "يعنون الأوس والخزرج" من الاختلاف، وسفك الدّماء، ونحن حرّاص على ما أرسلك الله به، مجتهدون لك بالنّصيحة، دعنا نشر عليك برأينا، فامكث على رِسْلِكَ باسم الله، حتّى نرجع إلى قومنا، فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى الله ورسوله، فلعلّ الله يصلح ذات بينهم، ويجمع لك أمرهم. فإنّا اليوم متباغضون متباعدون، ولكنّا نواعدك الموسم من العام المقبل، فرضي بذلك رسول الله ﷺ، فانصرفوا راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا، وصدّقوا.

ويُعدّ هذا الاتّفاق عهدًا بين رسول الله ﷺ وهؤلاء النّفر وحدهم، على أن يبذلوا جهدهم لإصلاح ذات البين، بين الأوس والخزرج؛ ليأتوا في العام القادم سويًّا، ويشتركوا في عهد رسول الله ﷺ معًا [1].

في السّلوك

الإشارة: كلّ ما قاله الحقّ ﷻ لبني إسرائيل في فحوى الخطاب، يقوله لهذه الأمّة في سرّ الخطاب، فلقد آتانا الكتاب، وبيَّن فيه الرّشد والصّواب، وقفَّى بعد إنزاله بعلماء أتقياء، وأولياء أصفياء، يحكمون بحكمه، ويهدون بهديه، فإذا أمروا بالزّهد في الدّنيا وترك الحظوظ والهوى رفضوهم وكذّبوهم، وربّما كفَّروهم وقتلوهم، واستكبروا عن الإذعان لهم والانقياد لقولهم، ففريقًا كذّبوا وفريقًا يقتلون.

الإشارة: إذا أمر الدّعاة أهل الدّنيا بذبح النّفوس وحطّ الرؤوس ودفع الفلوس، ليتأهّلوا به لدخول حضرة القدّوس، أو أمروهم بخرق العوائد، لتخرق لهم العوائد، أنِفوا وعنّفوا وقالوا: قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه، فيقال لهم: بل سبق لكم من الله البُعد والحرمان، فأنكرتم أسباب الشّهود والعيان، لكن مَن سبقت له من الله العناية، وهبَّ عليه نسيم الهداية، فلا تضرّه الجناية، فقد يلتحق بالخصوص، وإن كان من قبل من أعظم اللُّصوص، وهو قليل بالنّسبة إلى من جاهد نفسه في طلب السّبيل، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا.

الإشارة: ترى كثيرًا من النّاس إذا ذكر لهم الأولياء المتقدّمون أقرّوهم وصدّقوهم، وإذا ذكر لهم أولياء أهل زمانهم أنكروهم وجحدوهم، مع كونهم يستنصرون بأهل زمانهم في الجملة. فهذه نزعة يهوديّة، إذ إنّهم آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

«رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[2].

(١) انظر، ابن هشام في السّيرة النبويّة، باب: بدء إسلام الأنصار، (٤٢٨/١- ٤٢٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب وباب: الدّعاء، والتكبير، والتهليل، والتّسبيح، حديث رقم: ١٩٠٣، الحديث صحيح الإسناد.